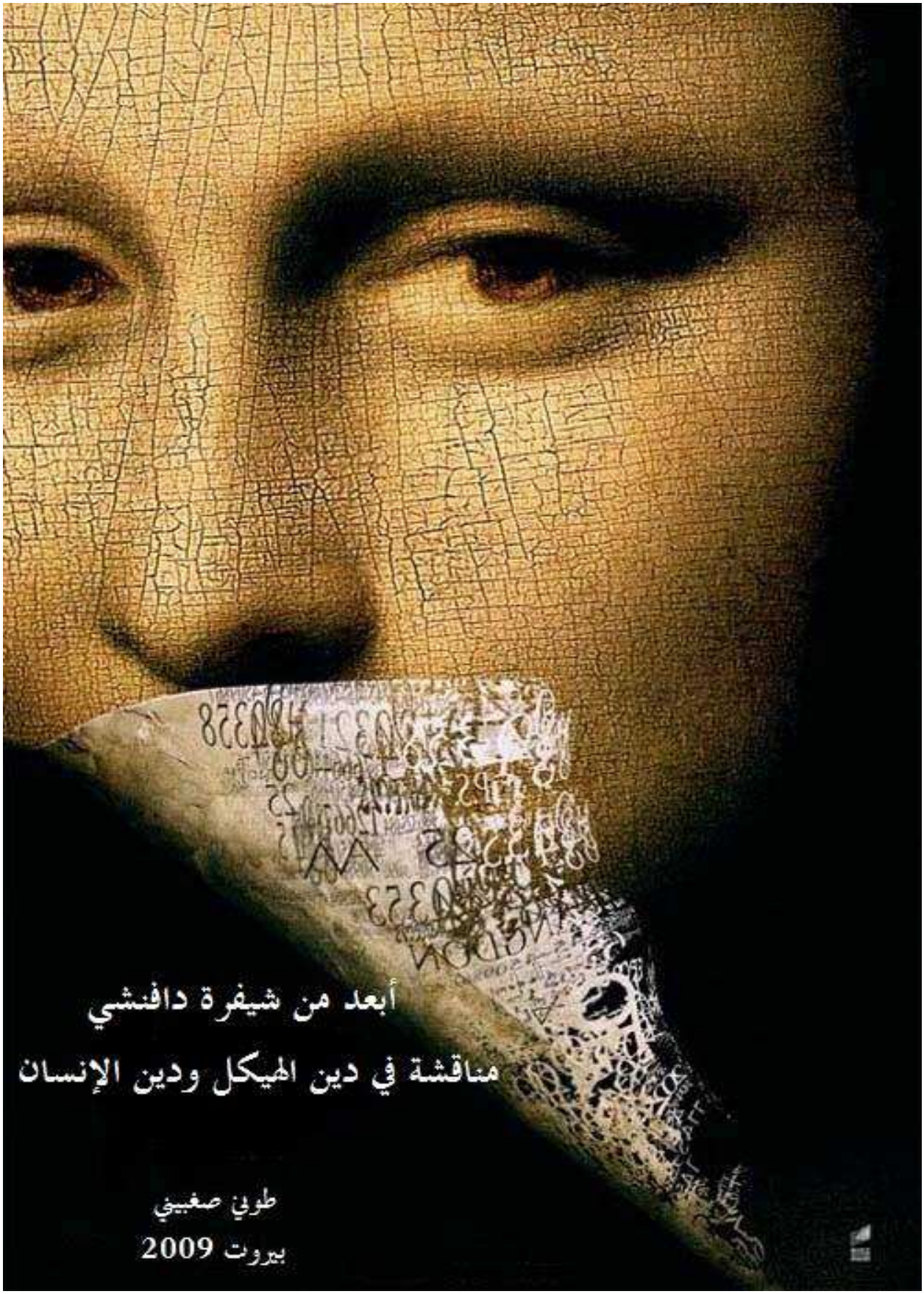
أبعد من شيفرة دافنشي
مناقشة في دين الهيكل ودين الإنسان
طوني صغبيني
بيروت 2009

أبعد من شيفرة دافنشي
مناقشة في دين الهيكل ودين الإنسان

طوني صغبيني

منشورات مدوّنة نينار
بيروت 2009

إلى ش.
التي يعود إليها فضل البدء بهذه المقالات...

قبل البدء

مرّ عليها أكثر من خمس سنوات. البعض وصفها بالمؤامرة الأخبث على المسيحية منذ صلب الناصريّ، واعتبرها آخرون فاتحة سرّ عظيم ينكشف للعالم للمرّة الأولى. إنها رواية "شيفرة دافنشي" التي حوّلت كاتب مغمور إلى "ماركة" عالميّة، وأطلقت جدلاً عنيفاً لم تهدأ أمواجه بعد حول الثوابت الدينية التي قامت عليها المسيحية لألفي عام.

الرواية في الواقع لم تأتِ بأي جديد في مضمونها، بل هي نقلت الجدل الدائر حول أصول المسيحيّة والوقائع التاريخية المرتبطة بـ"الثنائي المقدّس" من حيّز الجدل الأكاديمي واللاهوتي في أروقة الجامعات والكنائس إلى حيّز النقاش الشعبي الواسع.

لمن لم يطّلع على رواية دان براون المذكورة، سنورد هنا بعض العناصر المثيرة للجدل في الرواية. يقول كتاب براون أنّ:
- مريم المجدليّة لم تكن مجرّد زانية تائبة بل كانت من أركان الدعوة المسيحية، تزوّجت من الناصري وأنجبت منه سلالة "مقدّسة" حكمت أجزاء من أوروبا لفترات طويلة.
- فرسان الهيكل" عثروا في فلسطين على "الإنجيل الحقيقي" الذي يتكلم عن دور ومكانة المجدليّة، وأنشأوا فيما بعد أخوية دير صهيون أو "سيون" المؤتمنة على حماية سلالة المسيح والإنجيل الأصلي.
- ومن العناصر الفرعيّة للرواية هناك منظّمة "أوبوس داي" الكاثوليكيّة المتشدّدة التي تبتزّ الفاتيكان وتمتلك أعضاءً مستعدّون للقتل من أجل الدفاع عن أسس الكاثوليكيّة.

خلال الأعوام الماضية، امتلأت المكتبات والنقاشات بالتكهّنات حول الشخصية التاريخية لمريم المجدليّة وحقيقة وجود "سلالة مقدّسة" ليسوع الناصري فيما تم إغفال النقاش الفكري والفلسفي الأوسع الذي تطرحه قضيّة زواج يسوع على العقائد الدينية السماوية، وتحديداً المسيحية منها.
ابتدأ هذا الكتيّب الفائق الصغر بحجمه، بمقالات قصيرة على مدوّنتي الشخصية (http://saghbini.wordpress.com/) بهدف إعطاء النقاش الأخير مساحته اللازمة في الفضاء التدويني والفكري العربي بعدما حجبه ركام الإثارة السينمائية ونظريات المؤامرة والجدل السطحي حول وجود شخصيّات تاريخية من دعمه.

لا تهدف هذه المقالات لتقصّي الحقائق التاريخية حول يسوع الناصري ومريم المجدليّة وأخوية سيون أو أوبوس داي أو أي واقعة هندسية أو تاريخية ذكرت في الرواية. وينطلق مضمون المقالات المذكورة لمعالجة فكرة مفادها أن الوقائع الواردة في رواية "شيفرة دافنشي" حول يسوع الناصري ومريم المجدليّة هي القشرة التي تغلّف حقائق أكثر خطورة حول الديانة المسيحية، تتخطّى مسألة الشخصيات التاريخية لتصل إلى الفلسفة المسيحية نفسها ونظرتها إلى الحياة والإنسان.

الكتيّب المتواضع هذا ليس كافياً أبداً لمعالجة قضيّة بهذا الحجم، والهدف منه في الوقت الحالي هو فقط وضع المقالات التي نُشرت على المدوّنة في ملف واحد بيد القارىء للإطلاع عليه وتوسيع النقاش أكثر وأكثر، وعسى أن يكون ذلك جهداً إضافياً يصبّ لمصلحة هزّ الغبار عن العالم العربي النائم ومساعدته على البدء بدوره، بعد أن سبقه الغرب إلى ذلك، بالتشكيك في الحقائق التي أخذها كمسّلمات لقرون وباتت اليوم أحد الأسباب الرئيسيّة لخروجه من التاريخ ومن الحريّة.

الفهرس:

- **المقال الأوّل:** المسيح الإلهي والمسيح الأرضيّ: لماذا تغضب الكنيسة من زواج يسوع؟
- **المقال الثاني:** بذور المسيحيّة الرسميّة: عندما يصبح للإيمان قانون
- **المقال الثالث:** دين الإنسان ودين الهيكل: المجدليّة نموذجاً
- **المقال الرابع:** المجدليّة الضائعة

المسيح الإلهي والمسيح الأرضيّ

لماذا تغضب الكنيسة من زواج يسوع؟

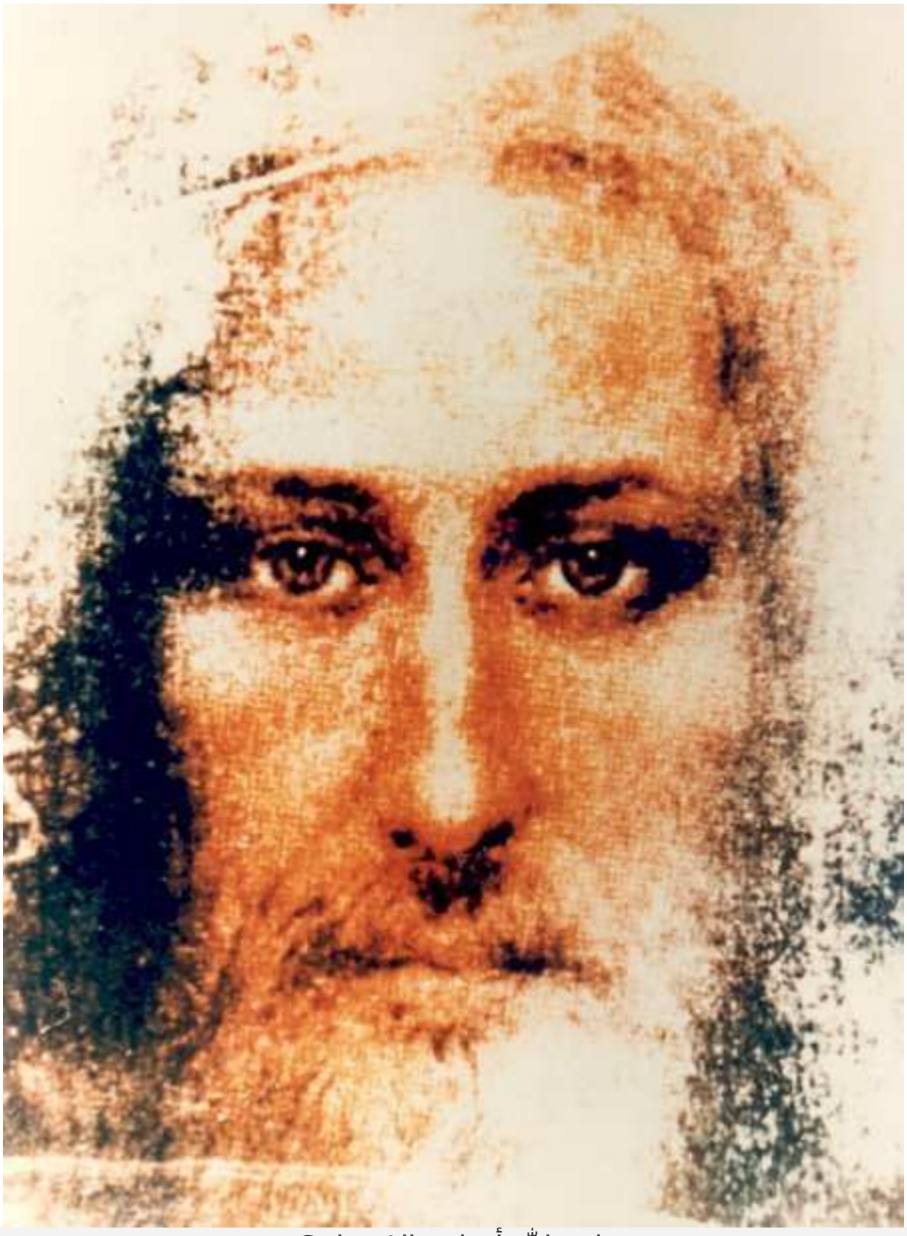

ابن الله أم ابن الإنسان؟

يعتقد البعض أن ردّة فعل السلطات المسيحيّة على مقولة زواج يسوع من المجدليّة مبالغ بها من جانب الكنيسة، على اعتبار أنه أمر لا ينتقص من المسيحيّة بشيء. لكنّه في الواقع ينقض

الكثير من أساساتها إن لم نقل أنّه يهدمها بالكامل. فالنسخة الرسميّة من المسيحيّة الحالية تقوم على مقولة الطبيعة الالهية للمسيح، فهو الله المتجسّد بلحم ودم: الله والمسيح هنا هما أقنومان لجوهر واحد.

وبما أن الله "الذي تجسّد من أجل خلاصنا" هو مطلق وكامل، فلا يمكن أن يرتبط خلال تجسّده على الأرض بـ"ابنه" يسوع، بأي صلة عضوية أو بيولوجية مع العالم المادّي. لذلك يقال أنه ولد من عذراء بنفخة من الروح القدس، وأنّه كان قادراً على شفاء المرضى وإعادة البصر للعميان وتحويل المياه الصافية إلى نبيذ، وأنّه قام بعد ثلاثة أيام من الموت على الصليب...
وفي هذا السياق لا يمكن للإله أن يتزوّج وينجب أولاداً، لأن ذلك بكل بساطة ينزع عنه صفة الألوهيّة ويجعله إنسان مساوٍ لأي مخلوق بشري آخر على هذه الأرض. فالله لا يولد، لا يموت، وبالتأكيد... لا يتزوّج!

بالنسبة للمسيحيّة الرسميّة على اختلاف تفرّعاتها اليوم إلى كاثوليكية وأورثوذوكسيّة وبروتستانتيّة وغيره، تنسف "إنسانيّة" الناصريّ كل المرتكزات الإيمانية التي يقوم عليها الدين. فلماذا عبادة يسوع إن لم يكن ابن الله؟ ولماذا اعتباره مخلّصاً إن لم يكن هو والآب واحد؟ وكيف يمكن ليسوع أن يغفر خطاياك ويكون بابك إلى ملكوت السماوات إن كان بشري من لحم ودم مثلك تماماً؟

يتبنّى القرآن "إلهيّة" عيسى الناصري بالكامل، مثل ولادته من عذراء (التحريم 12)، وكونه "رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه" (النساء 170)، ويذهب إلى حدّ رفض صلبه (وما يقتلوه وما صلبوه لكن شُبّه لهم - النساء 157) لأن "كلمة الله" بنظر القرآن ليس بشراً فانياً ليموت على صليب.

بذور المسيحيّة الرسميّة

عندما يصبح للإيمان قانون

الناصري على مذبح السلطة...

يضيء كتاب "شيفرة دافنشي" على حقيقة مهمّة جدّا هي أنه لا يوجد حقيقة مطلقة في أركان الديانة المسيحية، بل هناك وجهات نظر مختلفة يمكن أن تلتقي أو تتباعد كما في حالة الانقسام حول دور المجدليّة.

ويمكن استعمال تعبير "المسيحيّة الرسميّة" للإشارة إلى العقيدة المسيحية السائدة حالياً، وهي في الواقع رأي المنتصرين في المعارك الدمويّة التي اندلعت بين مختلف المذاهب المسيحيّة منذ القرن الميلادي الأوّل حتى القرن الخامس.

ففي البدء لم يكن هناك ديانة مسيحية بالمعنى الرسمي للكلمة، بل كان هنالك تيارات فلسفية وروحية ذات عقائد متنوّعة تمزج بين الفلسفة المسيحية الجديدة وبين الفلسفات الوثنية والباطنية القديمة.

كان عقد "المجمع المسكوني الأوّل" في نيقية[1] عام 325 ميلادي بمثابة إعلان بداية معركة فرض "مسيحيّة رسميّة واحدة"، إذ شهد المجمع إصدار أوّل دفعة من "قوانين الإيمان المسيحي" وأوّل منع رسمي لطائفة أخرى.
عقد المجمع بمباركة سلطات روما في ظلّ حضور الامبراطور قسطنطين الأوّل. كان قسطنطين يعتبر أن تمتين الوحدة السياسيّة للامبراطورية يمرّ بالضرورة عبر تمتين وحدتها الدينية المهدّدة على وقع تصاعد الصراع الديني في المتوسّط. وكان يعوّل على مجمع نيقية لتأمين هذا الهدف. ورغم أن الوثائق التاريخية تشير إلى أنه وقوف أولاً على الحياد بين التيارين، إلا أنه كان فيما بعد وراء قرارات المجمع التي أعلنت أن "الآريوسية" بدعة وشرّعت الباب فيما بعد أمام ملاحقة أتباعها.

من الناحية اللاهوتية الفلسفية، لائحة المواضيع الخلافية في نيقية كانت هائلة ولم يصلنا منها إلا القليل: المجدليّة، وضع النساء في الكنيسة، الأناجيل المسموحة والأناجيل الممنوعة، الغنّوصية، الروح والتقمّص، التألّه والتجسّد، الفيض الإلهي أو الإله المطلق، طبيعة المسيح الالهية أو البشرية، حقيقة القيامة، الأعياد، النظرة إلى الجنس، الوثنيين والعمادة، اليهود والطقوس المسيحية، الهرم التراتبي في الكنيسة، بتوليّة الكهنة، ادعاءات مختلف المذاهب المسيحية، السماح بالتنوّع العقائدي أو إقامة سلطة دينية – سياسية – عقائديّة واحدة...ألخ.

وكانت الخلافات تفاقمت كثيراً بين مختلف التيارات المسيحية على هذه الأمور، وخصوصاً بين من ينكر ألوهيّة يسوع بزعامة الكاهن المصري "آريوس"، وبين من يعتبره ذات طبيعة واحدة مع الله بزعامة بابا كنيسة الاسكندريّة الكسندروس الأوّل.
تعاليم آريوس كانت مستقاة بدرجة كبيرة من المسيحية الغنّوصية السائدة بقوّة في شرق المتوسّط في ذلك الوقت. وهي تركّز بشكل عام على امكانيّة تألّه الإنسان وارتقائه فوق طبيعته البشريّة عبر عمليّة روحيّة شاقّة. وبما أن الناصري هو في نظر هذه العقيدة إنسان عادي تحوّل فيما بعد إلى إله، كانت تيارات مثل الغنّوصية والآريوسية تعتبر أنه بامكان أي مؤمن حقيقي أن يرتقي إلى رتبة المسيح عبر العمل الشاق والتأمّل والمحبّة النقيّة وخدمة الغير.
وعكس الخلاف بين الغنوصّة والآريوسية من جهة وبين الأساقفة الرومان من جهة أخرى انقساماً فلسفياً عميقاً حول طبيعة الإنسان؛ هل هو كائن عقلاني حرّ قادر على الارتقاء والتألّه؟ أو هو عبد يولد ويموت في الخطيئة ولا يمكن إنقاذه إلا بعبادة الآب والاعتراف بالمسيح كطريق إلزاميّ للجنّة؟

انتهى المجمع الأوّل بإعلان الأريوسية هرطقة كما سبق وقلنا، ولوحق أتباع هذا المذهب حتى تمّ القضاء عليهم بشكل شبه نهائي. ولعلّ وصف الروائي يوسف زيدان لهذه الواقعة التاريخية في روايته التاريخية "عزازيل" على لسان نسطور هو أبلغ مختصر لحقيقة ما حصل. في الرواية يقول نسطور للكاهن المصري هيبا: "ما جرى يا هيبا في نيقية باطل من تحته باطل،

[1] تقع نيقية في تركيا اليوم.

ومن فوقه باطل. فالامبراطور قسطنطين كان متعجلاً لإعلان ولايته على أهل الصليب، حتى أنه لم يصبر على دعوته المسكونية للمجمع إلى حين اكتمال مدينته الجديدة القسطنطينية، فعقد المجمع في القرية المجاورة نيقية التي كانت لسوء اختيار موضعها تسمّى أيامها: مدينة العميان! وقبلها بعام واحد كان هذا الامبراطور يقضي حياته مشغولاً بأمر وحيد، هو تثبيت سلطانه بالحرب ضد قدامى رفاقه العسكريين. ولما انتهى من حروبه إلى الظفر بهم، أراد الظفر بالولاية الدينية على رعاياه، فدعا كل رؤوس الكنائس للمجمع المسكوني، وأدار جلساته وتدخّل في الحوار اللاهوتي، ثم أملى على الحاضرين من الأساقفة والقسوس القرارات. مع أنّه لم يقرأ كتاباً واحداً في اللاهوت المسيحي! بل أنه لم يكن يعرف اللغة اليونانية التي كان يحتدم بها الحوار اللاهوتي بين الأساقفة في نيقية ولم يكن يهتم أصلاً بالخلاف اللاهوتي بين القسّ آريوس وأسقف الإسكندرية في زمانه، إسكندر... ثم انتصر الامبراطور للأسقف أسكندر ليضمن قمح مصر ومحصول العنب السنوي، وحَرّمَ الراهب آريوس وحرّم تعاليمه، وحكم بهرطقته كي يرضي الأغلبية من الرعيّة ويصير بذلك نصير المسيحيّة".

لم يتوقّف الأمر هنا: بعد نيقية، كرّت سبحة المجاميع المسكونيّة حتّى وصلت إلى سبعة. ولحق كلّ منها انشقاق ديني أو حملة اضطهاد شُنّت على من رفض قوانين الإيمان الجديدة (بالإضافة إلى الاضطهاد التقليدي الذي بدأت الكنيسة تمارسه على كل من ليس مسيحياً منذ تحوّلها إلى دين رسمي مع قسطنطين). وعلى الأثر لوحق الآريوسيّين والغنّوصيين والنسطوريين وآخرين وأحرقت كتبهم وقضي على معظمهم قبل نهاية القرن الخامس. وشهد المجمع الرابع الذي عقد في العام 451 الانشقاق الشهير بين الكنائس الغربية التابعة لروما (الكاثوليكية) وتلك الشرقية التابعة للقسطنطينيّة (الأورثوذوكسيّة).

دين الإنسان ودين الهيكل

المجدليّة نموذجاً

الصراع بين المسيحية الأولى وإلى جانبها المذاهب الوثنيّة والباطنيّة والهرمسيّة وبين المسيحية الرسمية الأقرب إلى السلطة الرومانية كان ترجمة لصراع عميق الجذور في التاريخ البشري بين الفلسفة العقلانية التحررية التي ترفض السلطويّة والهيمنة وتؤمن بالإنسان كقيمة عليا، وبين الفلسفة الغيبية القائمة على الطاعة السياسية والروحية المطلقة وعلى تمجيد عجز الإنسان وتقزيم العقل والارتياب من الجسد والطبيعة.

كانت الأنثى في التيار "الوثني – الباطني" تتمتّع بتبجيل كبير، كونها مركز الخصب والخلق ومَجْمَع القيم وتعبير عن الكون الأنثوي الذي يحضن الحياة كما تحضن الأنثى المولود في رحمها.
في خضمّ هذا السياق وُلدت قضيّة المجدليّة. وتشير الوثائق والأناجيل المكتشفة حديثاً إلى أن المجدليّة كانت محلّ تبجيل من قبل معظم المسيحيين خلال العصور الأولى للدعوة، بشكل متناغم مع حالة تبجيل الأنثى المقدّسة لدى الوثنيين. ومن الحقائق التي يجهلها معظم المؤمنين المسيحيين اليوم هي وجود إنجيل لمريم المجدليّة من ضمن الأناجيل العديدة التي عثر عليها في خمسينات القرن الماضي في مكتبة نجع حمادي في الصعيد المصري.

وتأليه المجدليّة في تلك المرحلة ليس أمراً مستغرباً في منطقة كانت لا تزال في مرحلة عبادة الأنثى المقدّسة بأسماءها المختلفة: نين سين \ إنانا (بلاد ما بين النهرين)، عشتار \ عشتروت (الساحل الكنعاني)، إيزيس (مصر)، أفروديت \ فينوس (اليونان \ روما)...ألخ.
هي أنثى الخلق، أنثى البداية، أنثى الخصب والمحبّة والجمال والحكمة الأزليةSophia .
كانت الإلهة الأنثى ذات مقام أرفع من الإله الذكر على اعتبار أن الأنثى تضع المواليد وهي بالتالي مركز الخلق والخصب ومصدر الحياة. ولم يتغيّر الوضع إلا في مرحلة تاريخية لاحقة أضحت فيها القوّة الجسديّة الحربيّة محور التاريخ، وحلّ عندها تبجيل قدرة الذكر على إخذ الحياة (القتل بحدّ السيف) مكان تبجيل قدرة الأنثى على إعطاءها. في الزمن الذي تلى ذلك، وُلد الإله الذي يحمل بروقاً ورعوداً ورماح، وانسحبت الإلهة المؤنّثة إلى زاوية ثانوية من الهيكل.

الصورة الحديثة للمسيحيّة تعكس بدورها هذه الصورة المتناقضة، فمقابل صورة الأنثى التي ترضع المولود الحديث بحنان (الصورة التقليدية لمريم)، هناك الرجل الميّت على صليب: هو تبجيل الموت مقابل تبجيل الحياة. والفارق هنا هو أن الدين الحديث يرتكز على تبجيل الموت: الرجل المدمّى هو ابن الإله، هو الربّ نفسه، هو المخلّص، أمّا الأنثى المعطاءة فهي بشر فانٍ من لحم ودمٍ مثلنا.

دين الهيكل... حين يحمل الإله سيفاً!

كان التوازن بين عبادة الأنثى وعبادة الذكر قديماً يشير إلى أسلوب حياة يرتكز على التوازن بين القوّة والحنان، التوازن بين أخلاق السيطرة وأخلاق العطف وبين تبجيل الحياة واحترام الموت والتضحية.
لكن في الزمن الذي بدأت فيه الامبراطورية الرومانية تحكم هيمنتها على المتوسّط، لم يعد هناك مكان للتوازن القديم. ففي امبراطورية تقوم بحدّ السيف ولا تستمرّ سوى به، لا مكان لقيم الحنان والعطف والحياة الحرّة، لا مكان للتوازن الذي مثّلته عشتار إلى جانب بعل هداد. بالنسبة لسلطات روما، يبدو أن المطلوب كان ثقافة تمجّد الإخضاع والخضوع وأخلاق تقوم على علاقة تبعيّة بين سيّد امبراطور وعبد خاضع للاحتلال.

مجمع نيقية في القرن الخامس ميلادي الذي تكلّمنا عنه في مقال سابق كان بداية انتصار فكرة الحرب الرومانية والإخضاع الروماني على فكرة الحريّة الوثنية والسلام الباطني. كان بداية

البطريركيّة الأبويّة. بداية استبدال منجل الحصاد والجميلات الراقصات في الهيكل بالفؤوس المدمّاة والجنود المحتفلين على الأشلاء.

في الامبراطورية التي جعلت المتوسّط حوض استحمام لقياصرتها، لا مكان سوى لسلطة مطلقة واحدة، لا مكان سوى لحاكم واحد، لعاصمة سياسيّة واحدة. لا مكان فيها إذاً سوى لآب واحد، لإله رهيب واحد!
هذا هو دين الهيكل.

المجدليّة الضائعة

إنّ قضيّة المجدليّة هي قضيّة فلسفيّة شاملة وأسلوب حياة وصراع بين اتجاهين تاريخيين متناقضين تركا آثارهما على روما القديمة في بدايات الدعوة المسيحية ولا يزالا يطبعان العالم حتّى اليوم. فالمجدليّة ليست مجرّد نقاش حول شخصيّة تاريخية كما حاولت رواية شيفرة دافنشي تصويرها، بل هي نقاش حول نظرتنا إلى الإنسان والحياة والكون.

في القرون الأولى من عمر الامبراطورية، الصراع بين روما (المدعومة من البطاركة المسيحيين في نيقية) وبين مناوئيها (ومنهم الجماعات المسيحيّة الأولى والوثنيين والباطنيين والهرمسيين ومريدي مدرسة الاسكندرية النيو أفلاطونية)، كان بطريقة أو بأخرى صراعاً بين عالمين: عالم حريّة الشعوب والتنوّع والفطريّة والاحتفال بحبّ الأرض والحياة، وعالم امبراطورية العسكر وتجارة العبيد ورياضة المجالدة.

محاكمة الوثنيين في القرن السابع عشر في الولايات المتحدة التي عرفت بمحاكمة ساحرات سالم - نفّذتها طائفة مسيحية تدعى التطهّريين

إنه صراع بين العالم الذي يبجّل الإنسان الحرّ، بعنصريه الذكر والإنثى، ويعتبره امتداداً للنور الإلهي ويؤمن بقدرته على التألّه عبر الابداع والمحبّة والتجربة العقلية والروحية، والعالم الذي

يريد الإنسان عبداً للامبراطورية باسم إله خفي وطاعة عمياء لحاكمها الذي ينطق باسم السماء!
هذه هي أبعاد الصراع الذي نشب فيها بعد بين الفلسفة المتمرّدة المتصالحة مع الأرض والإنسان وبين المسيحيّة الرسميّة المتحجّرة المترعرعة في أحضان قسطنطين الأوّل.
من الفروقات الهامّة بين التيارات الوثنية – الباطنية القديمة وبين الأديان السماويّة المنظّمة كان:
- العقل والعلم والروحانيات في الأديان القديمة كانت توائم لا تتعارض ولا تفترق. المعابد القديمة كانت مراكز لدراسة الفلك والطبّ والهندسة والرياضيات والفلسفة والعلوم الطبيعية فضلاً عن كونها مركزاً للتجلّي الروحي. لذلك لا يصحّ كثيراً وصف التيارات الروحانية القديمة بالأديان، لأنها لم تقم على دوغما متحجّرة ومنزلة إلهياً غير قابلة للنقاش، بل على البحث والعقلانية والتعلّم (إنطلاقاً من أن الإنسان قادر على فهم الكون والله من خلال عقله وتجربته الشخصية بحسب الفلسفة الباطنية التقليدية.(
- لذلك، كانت العلاقة بين "رجل الدين" وعموم المؤمنين هي أقرب لعلاقة المعلّم بالتلامذة منها لعلاقة القائد الآمر بالجندي المطيع. ولم تعرف الأديان الوثنية القديمة التراتبية الكهنوتية الهرميّة سوى في مراحل لاحقة ولأسباب سياسية كما في حالة توحيد الديانة المصرية القديمة مع أخناتون. وحافظت الغنّوصية والهرمسية فيما بعد على تقليد عدم وجود رجال دين، بل معلّمين يشاركون معرفتهم مع تلامذة الباطن.
- لم يعرف القدماء التمييز بين "المؤمن" و"غير المؤمن"، إذ إن تعدّد الآلهة والعبادات أوجد أرضية اجتماعية مهيّأة طبيعياً لقبول التعدّدية فيما كانت التجربة الروحية مفتوحة للأفراد ليختبروها بحريّة. كذلك، لم يكن هنالك تمييز بين النساء والرجال، بل غالباً ما تبوّأت النساء في المجتمعات الزراعية الأولى رتبة دينية أعلى من الرجال كونها مركز الخصب والخلق.

بعد انتصاره في المجاميع المسكونيّة والقضاء على التيارات الوثنية والمسيحية الأخرى، عمل التيار الروماني البطريركي لألفي عام تقريباً على تحطيم كل أثر للديانات القديمة مع ما عنته من عقلانية وانفتاح. وعمل كذلك على تكريس البطريركية الأبوية في كنيسة هرميّة لا يدخلها سوى الرجال وتختلط فيها السلطة الروحية بالسلطة الزمنية. ضاع كل أثر للمجدليّة القديمة والنتيجة فيما بعد كانت واضحة: ألف عام من الظلام والتعاسة ومحاكم التفتيش والحروب الدينية والخرافات والجهل واللاعقلانية وملايين الأبرياء المحروقين على أعمدة الإيمان.

من ممارسات محاكم التفتيش بين عامي 1300 و1700: رمي المتهمين من الشرفة، فإن لم ينقذها الله فهي إذاً "زنديقة."

إحراق المهرطقين والزنادقة من الصور المألوفة في ظلّ محاكم التفتيش البابوية في العصور المظلمة

ابتدأت تعاليم يسوع الناصريّ كدعوة للتمرّد والحريّة والمحبّة، واضعة نفسها في مواجهة مباشرة مع الفأس الروماني والتحجّر اليهودي. خلال أقلّ من أربعة قرون تحوّل الدين الجديد إلى أداة البطش الأكثر رهبة في يد روما.
ما ابتدأ على أنه امتداد لدين الإنسان أصبح ديناً للسلطة – ديناً للهيكل: يبطش ويلاحق ويضطهد من دون أن يتغيّر شيء في التلال الإيطالية السبعة سوى أن الامبراطور بات اسمه بابا، وأن الحروب باتت تخاض باسم الآب والابن والروح القدس بدل أن تُعلن بمباركة من زوس.
وكما ابتدأ يسوع على أنه مثال حيّ على الإنسان الذي يتألّه ويبلغ المراتب الروحية العليا بنوره ومحبّته للبشر، وحوّلوه لاهوتياً فيما بعد إلى إله يُعبد ويُهاب ويشكّل دليلاً دائماً على "ضعف الإنسان" بدل أن يشكّل دليلاً على قدرته على الكمال والارتقاء، ابتدأت المسيحيّة كتتويج لثورة روحية عرفها المتوسّط في تلك الفترة، وانتهت قامعة لكل الاختلاجات الفكرية والفلسفية والعلميّة لقرون من الزمن، مستبدلة دين الإنسان الذي نشأ معه عند أوّل شهيق أخذه من هواء هذه الأرض، بدين الإله الغاضب الذي لا يرضى سوى بعلاقة عبودية مع البشر... قضت على دين الإنسان ونصّبت على جسده وعقله وروحه دين الهيكل...

* * *

في الوقت الذي أصبحت فيه المسيحية امبراطورية من حجار ودماء عند حلول القرن السابع ميلادي، كانت الجهة الجنوبية الشرقية من المتوسّط تشهد بداية موجة تحجّرية مماثلة. موجة ستنجح فيما بعد في القضاء على آخر آثار الفطرية والتنوّع والسلام في الجزيرة العربية وتحوّل أحد أسياد الحرب في تلك المنطقة إلى نبي يتلو على المقاتلين ديناً جديداً فيما يشحّذون سيوفهم. لكن تلك قصّة أخرى...

- النهاية -

منشورات مدوّنة نينار

عنوان المدوّنة الالكتروني: http://saghbini.wordpress.com/